الدعاء للمشركين

شرح الحديث تكملة ص 61

وفي رواية عن جابر رضي الله عنه "لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة".

لم يوجد في الملخص

تفسير اية (فلما جاء امرنا نجينا صالحا ...) وتفسير اية (فأسر بأهلك بقطع من الليل.) وهم ص233 و243 في الكتاب.

ولم ينزل بالأمة ما نزل بقوم هود عليه السلام "من عذاب غليظ"[1]

ولا نزل بالأمة ما نزل بقوم صالح- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[2].

أخذتهم صيحة من السماء تقطعت لها قلوبهم فأصبحوا هامدين موتى لا حراك بهم، وأما قوم لوط فقد استعجل عليهم العذاب لغيظه عليهم قال تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[3].

لم يمهلهم الله تعالى بعد دعوة النبي عليهم.

لقد ضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم وعموا وانصرفوا على أعقابهم يقولون: النجاء النجاء، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ وسرى لوط بمن معه قبل الفجر ولما حان وقت عذابهم

أمر الله جبريل فاقتلع مدائن قوم لوط وهي خمس من تخوم الأرض حتى أدناها من السماء بما فيها حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة، ونباح الكلاب، ثم أرسلها مقلوبة وأتبعهم الله بالحجارة. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ حجارة صلبة شديدة من نار وطين – شبهها بالمطر لكثرتها وشدتها. (منضود) أي متتابعة بعضها في أثر بعض (مسمومة عند ربك) أي معلمة بعلامة كتب على كل حجر اسم من يرمي به". اهـ[١].

تفسير اية (وياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب)

وأما شعيب عليه السلام فبعد حوار مع قومه وملاطفة منه لهم مع خوفه عليهم هددوه بالرجم والإبعاد، وسقوط حرمته، وبعد أن فقد الأمل من هدايتهم قال: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[٢].

(ارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) انتظروا عاقبة أمركم وهذا تخويف لهم عسى أن يفيقوا من غفلتهم لكنهم تمادوا وطغوا، فنجى الله شعيبا ومن آمن معه برحمة من الله تعالى وأنزل الله الهلاك بهم، فأخذت الصيحة أولئك الظالمين، إنها صيحة العذاب.

قال القرطبي: صاح بهم جبريل صيحة، فخرجت أرواحهم من أجسادهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ أي موتى هامدين لا حراك

(١) القرطبي ...

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم شفقه بهم تكملة المذكرة ص 63

وفي دعاء رسول الله ﷺ على أعدائه شفقة ورحمة بهم لأنه دعاء تأديب وزجر عن المعاصي لا دعاء إهلاك وإبادة، وإنما فعل ذلك ﷺ عند مبالغتهم في الكيد والعناد، وأفاد الدمياطي أن ابتداء دعاء النبي ﷺ على قريش بذلك كان عقب طرحهم على ظهره سلا الجزور، وكان ذلك بمكة قبل الهجرة، ثم دعا لهم لما استغاثوا به وطلبوا منه أن يستسقي لهم ليعلموا أن الله هو الحق وليكون ذلك سبيلا لإيمانهم- وكان دعاؤه ﷺ بالقحط على من كان محارباً دون من كان مسلماً.

دعا لترق قلوبهم ويذلوا لله عز وجل، ويعلموا أن الله يستجيب للمؤمنين رحمة بهم ويسقيهم ويمنع عن الكفار المطر ليربيهم، ومن سنته

تبارك وتعالى أنه يربي بالمنع كما يربي بالعطاء.

أجل إنه ﷺ لو دعا عليهم بالهلاك لهلكوا جميعا، ولو سأل الله أن يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم حجارة من السماء، أو تأخذهم الصيحة أو الهلاك العام الذي لا يبقي أحداً لفعل، لكن دعاءه كان نوعاً من الحكمة والتربية اقتضته الإرادة الإلهية على لسان نبيه ﷺ ليرجع عاقلهم ولينزجروا عن عنادهم، فهو تربية بالمنع والعطاء.

ليعرفوا قيمة هذا النبي العظيم الذي يخاف عليهم ويدعوهم إلى النجاة ويخاف عليهم من النيران، وكان التجاؤهم لنبينا الهادي ﷺ ثمرة للتربية التي قصدهم بها إذ طلب من المولى أن يربيهم بالحرمان حتى يشعروا بنعمة العطاء فرقت قلوبهم وآمنوا أن الله تعالى هو الملجأ في الشدة والرخاء.

ومن هذا كان قوله ﷺ (

عود إلى قصة الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه

هذا الصحابي الجليل. الذي يسر القارئ أن يعرف شيئا عن إسلامه ونسبه.

(دوس): بفتح المهملة. وسكون الواو بعدها مهملة. قبيلة يمينة.

والطفيل بن عمرو: أي ابن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم ابن دوس، كان يقال له: (ذو النور) لأنه لما أتى إلى النبي ﷺ وأسلم بعثه إلى قومه فقال: اجعل لي آية. فقال ﷺ: (اللهم نور له) فسطع نور بين عينيه، فقال: يارب. أخاف أن يقولوا: إنه مثلة، فتحول إلى طرف سوطه وكان يضيء في الليلة المظلمة.

وقد دعا الطفيل قومه إلى الإسلام، فأسلم أبوه وزوجته، ولم تسلم أمه، وأجابه أبو هريرة وحده، وهذا يدل على تقدم إسلام أبي هريرة رضي الله عنه وقد جزم ابن أبي حاتم بأنه قدم مع أبي هريرة بخيبر، قال شيخ الإسلام: وكأنها قدمته الثانية(٢).

وقد طلب الطفيل من رسول الله ﷺ أن يدعو على دوس. فتوهم الناس أن رسول الله سيدعو ويكون ذلك هلاكا لدوس لكن النبي ﷺ، وهو مبعوث الرحمة لا مبعوث العذاب، توجه إلى الله تعالى قائلاً: **(اللهم اهد دوسا وائت بهم)**، وكان (حبيب بن عمرو بن حثمة الدوسي) حاكما على دوس. وكذا كان أبوه من قبله، وكان حبيب يقول: إني لأعلم أن للخلق خالقاً، لكني

لا أدري من هو؟ فلما سمع بالنبي ﷺ خرج إليه، ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه فأسلم وأسلموا، وذلك ببركة دعاء النبي ﷺ وهذه إحدى المعجزات والآيات الباهرات من مبعوث الرحمة ﷺ وأرسل النبي ﷺ (الطفيل بن عمرو) ليحرق صنم عمرو بن حثمة الذي كان يقال له: (ذو الكفين) بفتح الكاف وكسر الفاء. فأحرقه.

وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب. أن الطفيل بن عمرو استشهد بأجنادين في خلافة أبي بكر، وكذا قال أبو الأسود عن عروة، وجزم ابن سعد بأنه استشهد باليمامة. وقيل باليرموك. اهـ[١].

* * *